**حركية الشعر المغربي في تونس**

**تمهيد :**

**تعد تونس همزة الوصل بين المشرق و المغرب و بين إفريقيا و العالم الخارجي لذلك كانت محل أطماع منذ القديم فتعاقب على حكمها الفينيقيون و الرومان و فتحها العرب المسلمون حتى الحكم العثماني حيث سنة 1574 انتهى عهد الدولة الحفصية فانتقل الحكم للعثمانيين فحكمها الدايات و البايات المرادية و بعدها كثرت الاضطرابات فكان هذا مقدمة لعهد الحماية الفرنسية .**

**بوادر : النهضة الأدبية :**

**شهدت تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بوادر نهضة إصلاحية شملت شتى المجالات العسكرية و التعليمية و الفكرية ففي سنة 1868 أنشأت مدرسة باردو العسكرية حيث كان لها دور بارز في تكوين نخبة من الضباط التونسيين حيث تخرجت الأفواج الأولى من الضباط التونسيين ممن كان لهم تأثيرا في الحياة السياسية و الفكرية خلال هذه المرحلة و تعززت هذه المدرسة بالمعهد الصادقي الذي ظهر على الوجود سنة 1876 و كان لخريجيه و أساتذته فضل بارز على النهضة الحديثة بتونس و تكوين إطارات فنية و إدارية للدولة .**

**تزامن إنشاء الصادقية تأليف لجنة وطنية انصرفت خلال 1876 إلى إ إصلاح المناهج التعليمية و تطوير أساليب الدراسة في جامع الزيتونة الذي كان من أعرق المعالم العلمية في المغرب الإسلامي.**

**و لم تلبث هذه النهضة التعليمية أن استكملت مقوماتها بإنشاء المدرسة الخلدونية في سنة 1896 كانت مشروعا ثقافيا يهدف إلى إقامة التوازن بين المناهج التعليمية التي كانت تشرف على تسييرها السلطة الاستعمارية تعزيزا لما سبق أنشأت المطبعة الرسمية ثم صدور جريدة الرائد التونسي ،كما استقدم بعض العلماء العرب ممن لهم خبرة في مجال الصحافة كأحمد فارس الشدياق و حمزة فتح الله للاستفادة من خبرتهم في إدراة جريدة الرائد .**

**كما كانت بوادر النهضة قد اقترنت باسم أحمد باشا باي (1837/1855)و تطلعاته المعروفة إلى بناء دولة تونسية عصرية بعد رحلته إلى فرنسا كن الفضل الأكبر يعود إلى المصلح التونسي خير الدين باشا الذي تولى الوزارة الكبرى (1837/ 1877)حيث بلغت النهضة الفكرية أوج عطائها .**

**تطور الشعر العربي الحديث في تونس:**

**مراحل تطور الشعر التونسي :**

**المرحلة الأولى : تقليدية إحيائية للشعر العربي القديم و تمتد ما أواخر القرن التاسع عشر إلى اليوموم.ي تونس 1968 / 1972 دار سحر للنشر و التوزيع تونس سنة 1994. جديدة ة نفسها الشعر الغنائي العاطفي ال**

**و يمتاز الشعر التونسي منذ بداية القرن التاسع عشر بالثراء الكمي و التنوع فإلى جانب الشعر التقليدي الدي لم يبرح المواصفات الإيقاعية للقصيدة التقليدية التراثية و أغراضها من مدح و رثاء و غزل و وصف للطبيعة و أساليبها الغاقة في الزخرفة البديعية و الصناعة اللفظية و الألاعيب النظمية ... قد تمخض الفكر الإصلاحي الذي انطلق في عهد المشير أحمد باشا عن لون جديد من الشعر انفتح على قضايا العصر لعل أول من كتب فيه الشيخ سالم بوحاجب ومحمد قابادو (1813/ 1871)و قد انبثقت عن هذه التجربة في أوائل القرن نفسه حركة عرفت ب الشعر العصري امتد حضورها حتى في العقد الثالث من القرن العشرين .**

**و كان من أبرز أعلامها المؤسسين محمد السنوسي (1851/1900.) صاحب أول قصيدة عصرية الفريدة في المخترعات الجديدة و هي قصيدة نونية تبلغ 120 بيتا من الشعر . يقول :**

**أفيقوا يا بني الوطن المعلى فقد طالت بكم سنة الرقاد**

**و من روادها أيضا صالح السويسي القيرواني و محمد النيفر و حسن المزوغي و محمد النخلي (1868/1924) محمد الحشائشي الذي قارن من خلال قصائده بين حضارة الغرب و حضارة الشرق ،ثم واصل السير في الطريق الذي رسمه الشادلي خزندار (1881 / 1954) كل من مصطفى آغا1891 / 1977 و بلحسن بن شعبان .و يعد هذا الطور تجديديا حيث عرف الشعراء التيارات الفكرية و الأدبية التي هزت المشرق بأسره و امتدت إلى المهاجر و ظهور الشعر الاجتماعي الذي يدعو إلى الحرية و التجديد.**

**مرحلة العشرينيات:**

**و في العشرينات ظهرت تجربة طريفة للسعيد بن بكر (1899/1948) تجسدت في مجموعة من القصائد نظمها على بحور من اختراعه و أدرجها ضمن ديوان السعيديات (1927) و مجموعة أخرى من المقطوعات القصار أصدرها سنة 1930 بعنوان الزهرات تشبه ما يعرف اليوم بقصيدة الومضة .**

**أما أهم محطة في مسيرة الشعر التونسي طيلة هذه الفترة بدون منازع فهي تجربة أبي القاسم الشابي (1909/ 1934) شعر و نثرا بإعلانه في محاضراته الخيال الشعري عند العرب سنة 1929 الثورة على الشعر العربي القديم جملة و تفصيلا فقد كان صوت الشابي بمنزلة الصرخة المدوية التي ارتجت لها أركان الوسط الثقافي بأسره و امتد صداها حتى المشرق العربي .**

**الشعر العربي الحديث في تونس:**

**ومع ظهور الشعر العربي الحديث كان التونسيين متفاعلين مع من حولهم فظهرت موجة جديدة من الشعراء من أمثال محسن بن حميدة والميداني بن صالح و نورالدين صمود و مصطفى الحبيب صاحب القصيدة المطولة ثورة العبيد . ومنور صمادح (1931/ 1998)صاحب تجربة قد تفوق في عمقها ما قام به الرواد حيث استطاع هذا الشاعر أن يستلهم كل تجارب عصره ويؤسس تجربة فريدة لا تقل في جماليتها وثرائها عن تجربة الرواد العرب من أمثال السياب والبياتي حيث استطاع منور صمادح الملقب بشاعر الكفاح الوطني أن يستوعب مرحلة شعرية كاملة ويطفو على سطحها فهو صوت متفرد في الشعر التونسي والعربي . من خلال دواوينه فجر الحياة و الفردوس المغتصب و فراغ .....الخ.**

**قصيدة النثر في تونس :  
و بظهور دعاة قصيدة النثر في الشرق العربي نصل إلى محطة لها قيمة كبيرة في الثورة على المنجز الشعري العربي ألا وهي تجربة جماعة الطليعة في تونس أو ما يسمّى حركة غير العمودي والحر . هذه الحركة التي تطاولت على الوزن الخليلي وألغته وسعت إلى بعث إيقاع جديد للشعر لا يرتبط بالشعر العمودي المتعارف أو بالشعر الحر أي شعر التفعيلة ودون أن تحاكي جماعة شعر بل سعت إلى تفجير طاقات إيقاعية جديدة للغة حيث استفادت أحيانا من تقنيات كتابة الشعر الفرنسي . والطريف لدى هذه الجماعة أنها كانت مزودة بجهاز نظري تجسد في كتابات روادها من أمثال الطاهر الهمامي (1947/2009)والزناد ومن عاصرهم وانظم إليهم .**

**يقول الطاهر الهمامي :**

**اختناق**

**الليل هذا اغتراب**

**أغنيات حزينة**

**ثم ظهرت المدرسة الكونية التي تزعمها جماعة القيروان والتي من أهم أعلامها محمد الغزي و المنصف الوهايبي صاحب قصيدة (في منزل السهروردي سنة 1982) يقول في قصيدة حضرموت :**

**خطت أجفاني على صورة محبوبي و نمت**

**غير أن الحلم يأبى فهي تأتي صورة أخرى**

**ترى كيف تناهت زهرة البربر حمراء إليه**

**و اراحت خدها المقرور في رمل يديه**

**حضرموت .**

**وقد حاولت هذه المدرسة أن تنفتح على الموروث الشعري العربي فتأثر جماعتها بالشعر الصوفي ونوعوّا عليه وباتت تجاربهم من أروع ما قيل في الشعر العربي غير أن هذه المدرسة لم تشمل كل الشعراء التونسيين بل ظهرت حركة الأدباء الشبان والتي استطاع عدد من شعرائها أن يضيفوا بشكل رائع للقصيدة التونسية فكانت تجربة القهواجي وسوف عبيد وغيرهم**

**خصائص الشعر التونسي :**

**من ناحية المضمون ـ الالتزام بقضايا الشعب و واقع الجماهير الكادحة و معالجة التناقضات الاجتماعية مع بروز شعر النضال و الدعوة لتحرير المرأة.**

**ـ الطابع الغنائي الوجداني.**

**ــ هوس البحث عن الحقيقة و الهوية و الوجود في اللاموجود.**

**من ناحية الشكل فكل مضمون يفرز شكله الخاص**

**ـــ التجديد و التنويع في القافية من خلال تجارب الشعر الحر كونه يمنح حرية واسعة في التعبير**

**ــ التعامل مع التراث بروح العصر من خلال جدلية الرفض و القبول بين التراث و المعاصرة**

**ـ الحبكة الدرامية التسلسلية أي الانطلاق من قيمة التأزم أي من أعلى إلى أسفل**

**ـ استخدام اللغة العامية و أول من بدأ ذلك الشاعر حسين شفيق التونسي .**

**ــ استخدام اللغة السهلة و الرمز الفني و الخيال المتوقد بشكل واسع .**

**مراجع :**

**ــ الجابري محمد الصالح : الشعر التونسي الحديث ،الشركة التونسية للتوزيع تونس سنة 1975.**

**ــ بن عمر محمد الصالح : مختارات الشعر التونسي الحديث و المعاصر بيت الحكمة قرطاج تونس 1990**

**ـــ الطاهر الهمامي : حركة الطليعة الأدبية في تونس 1968 / 1972 دار سحر للنشر و التوزيع تونس سنة 1994.**

**ــ مجموعة من الباحثين : تاريخ الأدب التونسي الحديث و المعاصر ، بيت الحكمة سنة 1993**